شرح

العقيدة الواسطية

لشيخ الإسلام

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية

شرحها

الشيخ/ توفيق الصائغ

الدرس الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلي اللهم وبارك على سيدنا وإمامنا وقدوتنا محمد صلي عليه اللهم صلي عليه واهله وصحابته وسلم تسليملا كثيرا–اللهم يا معلم ابراهيم علمنا و يا مفهم سليمان فهمنا نسألك يا ربي علما نافعا وعملا صالحا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا اللهم انا نسألك جوامع الخير و ظاهره وباطنه و أوله وأخره ونسألك الدرجات العلي من الجنة امين

طال بنا الوقف في المجالس السابقة ولذلك سأرجع قليلا الي الخلف حتى نربط السابق بالأحق وحتى نرتب الافكار التي كانت قد طرحت في الدرس السابق

قال المؤلف رحمه الله تعالي في متن العقيدة الواسطية بعد أن بين منهج اهل السنة والجماعة في الايمان بالله تبارك وتعالي قال ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به نبيه صلي الله عليه وسلم تسليملا كثيرا

ثم قال بعد ذلك رحمه الله تعالي وهو يقرر عقيده أهل السنه والجماعة في باب الايمان بالله وتخصيصا أو تحديدا باب الايمان بصفات الله تعالي قال : ومن غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل هنا الحديث عن باب الصفات او ان شئتم فقولوا الحديث عن باب الاسماء والصفات وقبل الولوج الي هذا الباب لابد من ضبط القواعد المهمة في هذا الباب أولا: أن باب الاسماء والصفات كما يسميه أهل العلم باب سماعيا أو خبري أو توقيفي هذه كلها بمعني واحد (خبري ،سماعي او توقيفي) والمراد بهذا ان هذا الباب معطي إلهي او معطي نبوي بمعني انه يتوقف فيه الانسان الي السماع فلا يقول فيه المرء برأيه وانما يتوقف فيه علي ما ثبت في كتابه سبحانه وبما ثبت عن رسوله صلي الله عليه وسلم في سنته وحين نقول هذا الكلام أعيد وأكرر فإن هذا الباب يتوقف فيه علي النصوص ولا مجال ولا مدخل للعقل فيه ابدا

أعيد وأكرر فإنّ هذا الباب يتوقف فيه على النصوص، ولا مجال ولا مدخل للعقل فيه أبدًا.

إذًا القاعدة الأولى: أنّ باب الأسماء والصفات بابٌ توقيفي، أو شئتم سموه سماعي أو خبري.

القاعدة الثانية: وهي قاعدة مهمة أيضًا، وهي أنّ باب الإخبار أوسع من باب الصفات، وباب الصفات أوسع من باب الأسماء، أضيق الأبواب هنا هو باب الأسماء، ثم يليه في الاتساع باب الصفات، ثم يليه في الاتساع

باب الإخبار، **ومعنى هذا**: أنّ الله -سبحانه وتعالى- لا يُسمى إلا بما سمى به نفسه، أو سماه به رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فباب الأسماء بابٌ ضيق في ذاته، وضيق أيضًا في أنه لا يُشتق من الاسم صفة.

ليس كل اسمٍ يُشتق منه صفة، باب الأسماء أضيق الأبواب، ثم الصفات أضيق من باب الأفعال، ثم باب الأفعال أضيق من باب الإخبار، فأوسع الأبواب هو باب الإخبار، **والمعنى**: أننا نستطيع أنْ نخبر عن الله -سبحانه وتعالى- أحيانًا بما لم يرد به كتاب ولا سنّة، ولا نستطيع أنْ نسمي الله بما لم يرد به كتاب ولا سنّة، ولا أنْ نصف الله بما لم يرد به كتاب ولا سنّة.

ولمزيدٍ من البيان أقول مثلًا في باب الإخبار: نستطيع أنْ نقول: إنّ الله -سبحانه وتعالى- موجود، كلمة موجود ليست مأخوذة من نص في الكتاب، ولا من أثر في السنّة، لكننا نخبر عن الله بكونه موجودًا، نخبر عن الله بكونه مريدًا، نخبر عن الله -سبحانه وتعالى- بكونه عارفًا عالمًا، فربما عالمًا ورَد بها النص، لكن أنّ الله يعرف وإنْ كان حتى هذه ورَد بها النص «**تعرّف إلى الله في الرخاء، يعرفك في الشدة**».

فالشاهد: أنه يجوز الإخبار عن الله -سبحانه وتعالى- بما يليق به -جل وعلا-، حتى لو لم يرد بذلك نص، نجد أنّ بعض أهل العلم قد يسمي الله تعالى الدليل مثلًا، ويرد في أدعية الداعيين يا دليل الحيارى مثلًا، هل نقول: إنّ هذا لا يجوز أنْ يُنسب إلى الله؟ لا، في باب الإخبار يجوز؛ لأنّ باب الإخبار أوسع، أضيق منه باب الأفعال، فالله -سبحانه وتعالى- أخبر عن نفسه أنه يفعل أشياءً، لكن هل يُشتق من هذه الأفعال أسماء؟ لا.

إذًا باب الأفعال أوسع، لكن باب الأسماء أضيق، فليس كل فعلٍ يُشتق منه لله تعالى اسم.

فإنّ من الأفعال ما لا يُنسب إلى الله تعالى إلا مضافًا، مثل: الاستهزاء والمخادعة والملل إلى غيره، هل ورَد أنّ الله -سبحانه وتعالى- يمل؟ ورَد في قوله -عليه الصلاة والسلام-: «**إنَ اللهَ لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا**»، فإذا ورَد هذا الفعل مقيدًا أو مضافًا، فإنه لا يُشتق منه اسم، أو لا يُشتق منه حتى صفة، لا يُقال عن الله: حاشا الله، تعالى الله، وجل الله، لا يُقال: إنّ الله ملول.

ولا يُقال أيضًا إنّ الله يمل هكذا بدون إضافة، لا يُقال: إنّ الله مستهزئ؛ لأنّ الله يقول: ﴿**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ**﴾[البقرة:١٥]، ولكن يُذكر ذلك مضافًا فيُقال: الله يستهزئ بمن يستهزئ به، الله يخادع مَن يخدعه، الله يمكر بالماكرين، كما قال الله تعالى: ﴿**وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾[الأنفال:٣٠].

فالمحصلة: أنّ الأفعال بابها أوسع من باب الصفات وأضيق من باب الإخبار.

ثم يأتي بعد ذلك باب الصفات، فباب الصفات أوسع من باب الأسماء، ولا يُشتق من الصفة لله -سبحانه وتعالى- اسمًا، وإنَّما يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله -صلى الله عليه وآله وسلم-، ثم يأتي بعد ذلك باب الأسماء وهو أضيق الأشياء، فنثبت لله الأسماء التي سمى بها نفسه -سبحانه وتعالى-، والاسم يتضمن في نفسه صفةً لله تعالى.

إذًا نعود فنقول: من القواعد المهمة في هذا الباب أنّ باب الأسماء والصفات سماعيٌ وخبريٌ وتوقيفي، ونقول: إنّ باب الإخبار أوسع من باب الصفات، وباب الصفات أوسع من باب الأسماء، وإنْ شئنا قلنا: باب الأسماء أضيق الأبواب، ثم يليه الصفات، ثم يليه الأفعال، ثم يليه الأخبار أو الإخبار.

هناك أمور تحتمل معنيان:

- **أحدهما**: صحيح.

- **والآخر**: فاسد.

مما لم يرد به نص، مثل: تسمية البعض لله -سبحانه وتعالى- أو الإخبار عنه بأنه دليل، أو قديم، أو بأنه صانع، أو بأنه مريد، فهل يجوز إطلاق مثل هذا على المولى -سبحانه وتعالى-؟ هل يجوز إطلاق الدليل على الله أو القديم أو الصانع أو المريد؟ لا، لا نستطيع أنْ نقول: نعم مطلقًا نعم، إذا قيَّدنا فقلنا من باب الإخبار فهو يجوز، أما أنْ نقول: نعم مطلقًا أو لا مطلقًا، فتكون الإجابة منقوصة.

هناك أمرٌ آخر أيضًا: وهو أنّ الله -سبحانه وتعالى- إذا ثبت له فعل، فليس بالضرورة جواز اشتقاق صفة لله تعالى من هذا الفعل، مثل: الله ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[البقرة:١٥]، مثل: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾[الأنفال:٣٠]، مثل: «إنَ اللهَ لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا»، إثبات الفعل لله تعالى ليس بالضرورة منه جواز اشتقاق صفة لله -عز وجل-، قلنا: إلا إذا ذكرت هذه الصفة في المقابلة، الله يستهزئ بمن يستهزئ، الله يمكر بالماكرين، لا يمل الله حتى تملَّوا إلى غيره.

من قواعد الباب كذلك: أنّ أسماء الله -سبحانه وتعالى- غير محصورة بعدد، وهذا مر معنا تفصيله، ومما يدل عليه "**أسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ**"، وكذلك سؤاله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لربنا -جل وعلا- في سجدة العرش قال: «**فيفتح الله عليَّ من المحامد والمثاني التي لا أعرفها في دار الدنيا**».

كذلك من قواعد الباب: أنّ صفات الله –عز وجل– قسمان:

- صفاتٌ ذاتية.
- وصفاتٌ فعلية.

صفات ذاتية قائمة بذاته لا تنفك عنه كالعلم والقدرة والحياة، وصفاتٌ فعلية يفعلها –سبحانه وتعالى– إذا شاء مثل المجيء، مثل الغضب، مثل الضحك، مثل الرضا إلى آخره، ماذا يتضمن إثبات الصفات الله –سبحانه وتعالى–؟ أو باب الصفات ما الذي يتضمنه؟ **الإيمان بالصفات يتضمن:**

- **أولًا**: إثبات الصفات لله –سبحانه وتعالى–، الصفات الثابتة في الكتاب والسنَّة يجب أنْ نثبتها لله –سبحانه وتعالى–، حتى نخرج من قضية النفاة الذين نفوا عن الله –سبحانه وتعالى– الصفات أو بعضها، الإيمان بالصفات يتضمن إثبات الصفة لله –سبحانه وتعالى–.

- **ويتضمن أيضًا إثبات** المعنى الذي يدل عليه ظاهر اللفظ؛ لأنّ هذه الألفاظ ليست ألفاظًا مجوفة لا معنى لها، وإنَّما هي ألفاظٌ ذات معاني يعرفها الناطقون باللغة من أصل لغتهم، ويدل على ذلك القرآن، فالله –سبحانه وتعالى– يقول: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾[محمد:٢٤]، وهذا التدبر لا يمكن أن يكون لشيءٍ لا تعيه العقول، أو لا تعرف أصل معناه.

فالله –سبحانه وتعالى– لا يمكن أنْ يتصوَر حقيقة صفته كما هي؛ لأنّ الله غيب، وأحدٌ لم يرَ الله –سبحانه وتعالى–، لكن يمكن أنْ يستوعب المستمع أو المتلقي أو القارئ أصل المعنى، فالحياة مثلًا معنى من المعاني، والله –عز وجل– حي، وكلنا يعرف المعنى العام للحياة الذي هو ضد الفناء وضد الموت، وإنْ لم يكن الواحد منا يعرف حقيقة هذه الحياة المتعلقة بالله، لكن أصل المعنى معروف.

ومثل هذا يُقال فيما يتعلّق بالجنة، يعني إذا ذُكِر لنا أنّ في الجنة نخلًا وعنبًا وظلًا وماءً وأزواجًا، فإننا نعرف أصول هذه المعاني، وإنْ كنا لا نعرف حقيقتها؛ لأنّ المخلوق غير المخلوق، فإذا كان هذا التباين بين المخلوقين والتفاوت فيما بينهم، فلأنْ يكون التباين والتفاوت بين الخالق والمخلوق من باب أولى.

وفي هذا رد للذين ينكرون الأسماء والصفات بالجملة، فنقول: من الإيمان بالصفات إثبات الصفات، وإثبات أصل المعنى الذي تدل عليه هذه الصفات أو يدل عليه ظاهر لفظها، وهذا ليس صعبًا ولا مستحيلًا، ولا هو من التكليف بما لا يُطاق.

- **ويتضمن الإيمان بالصفات أيضًا الإيمان** بمتعلقات هذه الصفات في الخلق وآثارها أيضًا، وهذا الذي نسميه ثمرة الإيمان، ولو لم نخرج بهذه الثمرات من دروس العقيدة، فستصبح هذه الدروس دروسًا مرسلة، والمعنى مثلًا حين يؤمن العبد أنّ الله -جل وعلا- حي، فإنه يؤمن بكمال قدرة هذا الحي، وهو يؤمن أيضًا ضمنًا أنّ هذا الحي كامل الحياة هو واهب الحياة، فالحياة تُرجى منه -سبحانه وتعالى-.

وعليه فحين يرجو الإنسان الحياة الأبدية في نعيم الجنة، فإنه يسألها من واهب الحياة -جل وعلا-، لما يؤمن العبد أنّ الله سميع، فإنه يثبت له هذه الصفة، ويثبت المعنى الدال على هذه الصفة، ثم يظهر عليه آثار هذه الصفة في سلوكه، وفي ديانته، وفي عبادته، فيعلم أنّ الله -سبحانه وتعالى- يسمع سره ونجواه، وأنّ الله يسمع خلجات نفسه وما أسر به فضلًا عما أعلن به، وأنّ الله لا يعذب عن سمعه شيء، ويتعاظَم هنا عنده مثلًا نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾[المجادلة:١]، قالت عائشة -رضي الله عنها-: **"سبحان مَن وسع سمعه الأصوات"**.

لماذا قالت ذلك؟ لأنه تعاظم عندها معنى هذه الصفة أنها كانت في طرف الحجرة، وحجرات أمهات المؤمنين كانت صغيرة ولم تسمع ما قالته خولة للنبي -عليه الصلاة والسلام-، ومع ذلك سمعه الله -جل وعلا- من فوق سبع سماوات.

فآثار الأسماء تظهر على ديانة العبد بقدر إيمانه، وبقدر تعمق هذا الإيمان في نفسه، فإنه حين يؤمن أنّ الله بصير، يعلم أنه يسمع ويبصر دبيب النملة السوداء على الصفاة السوداء في الليلة الظلماء، ويستحضر الإنسان مثلًا هذا في موقف الحجيج الذين يقفون على صعيدٍ واحد، فيستشعر أنّ الله يعرف أسماءهم وألقابهم وأعراقهم ومبتدأهم ومنتهاهم، ومن أين قدموا، وما هي حاجاتهم، ويعرف عدد الخلايا التي تتركب منها أجسادهم، وعدد الشعر الذي يحويه أجسادهم، ويعرف -سبحانه وتعالى- ميلاد كل واحد منهم، وموت كل واحد منهم وقرابته إلى آخره، مما يحمل الإنسان على كثيرٍ من الإيمان، وعلى مزيدٍ من اليقين.

إذًا من الإيمان بالصفات الإيمان بمتعلقاتها في الخلق وآثارها أيضًا.

ومن الإيمان بالصفات أيضًا: الإيمان بأنّ هذه الصفات لها كيفية، نحن لا ننكر أنْ يكون لهذه الصفات كيفية معاشر أهل السنَّة والجماعة، ولكننا ننكر أنْ يكون أحدٌ عالمٌ بهذه الكيفية، وعليه فلا يجوز لأحدٍ أنْ يكيف هذه الصفات؛ لأنه لم يراها، ولم يرَ مَن رآها، ولا رأى ما يشبهها.

ولذلك الإمام مالك -رحمه الله تعالى- حين سأله السائل: يا أبي عبد الله، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥]، كيف استوى؟ عظم هذا السؤال عليه، ثم أطرق وعلاه الرحضاء العرق لشدة هذا السؤال، ثم قال: "**الاستواء معلوم والكيف مجهول**" أو قال: "**والكيف غير معقول**"، يعني هناك كيفية للاستواء، لا ننكر هذه الكيفية، لكن هذه الكيفية لا نعرفها ولا نعلمها؛ لأنّ الله لم يخبرنا عنها، ولا أخبرنا عنها النبيّ -عليه الصلاة والسلام-، ولا يمكن أنْ تأتي بالتخمين والتصور، وإنَّما يتوقف فيها على النص.

من القواعد في الباب أيضًا: أنّ صفات الله -سبحانه وتعالى- كلها صفات كمالٍ لا نقص فيها بوجهٍ من الوجوه، صفات الله هي البالغة الغاية في الحسن والجمال والبهاء والكمال، صفات الله لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لا يتطرق إليها أصلًا احتمال النقص، بل هي كاملة بكل وجهٍ من الوجوه.

يبقى هنا سؤال: ما هو موقفنا في الصفات التي لم يرد فيها إثبات ولم يرد فيها نفي؟ نتوقف عنها إجابة سليمة جدًّا، لكن الإجابة الكاملة أنْ نقول: نتوقف فيها ونستفصل عن معناها، فإنْ كان المراد حقًّا فقد يجوز إثباته لله تعالى، وأما إنْ كان باطلًا فإننا ننفيه.

من القواعد المهمة أيضًا في الباب: أنّ القول في الصفات كالقول في الذات سواءً بسواء؛ لأنّ الصفات تدل على ذات المولى -سبحانه وتعالى-، فإذا اعتقدنا في الذات الكمالات وجب أنْ نعتقد في الصفات الكمالات، وإذا اعتقدنا أنّ الذات غيبٌ لا يجوز الكلام عنها إلا بمستند من النص فكذلك الصفات.

قال -رحمه الله تعالى- وهو يقرر معتقد أهل السنَّة والجماعة وأنهم يؤمنون بما لله تعالى من الصفات قال: (مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ).

ما معنى التحريف؟ التحريف: هو من الانحراف، والانحراف هو صرف الشيء عن وجهه إلى غير وجهه، فيمكن أنْ نقول: أنّ التحريف هو صرف الشيء عن وجهه إلى غير وجهه، فيكون المحصلة أنّ التحريف هو تغييرٌ وتبديل، وتحريف الصفات إما تغييرها أو تبديلها أو تغيير وتبديل معانيها.

وعليه فالتحريف نوعان:

- تحريفٌ في اللفظ.

- وتحريفٌ في المعنى.

التحريف اللفظي مثلًا: أنْ يأتي هذا المحرِّف في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥]، فيحرّف اللفظ من ﴿اسْتَوَى﴾ إلى استولى، أو يأتي إلى قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[النساء:١٦٤]، فيحرّف هذا ليجعله وكلم اللهَ موسى تكليمًا، ما الفرق بين ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[النساء:١٦٤] وبين وكلم اللهَ موسى تكليمًا؟

جعل فعل الكلام منه -سبحانه وتعالى-، والمحرِّف جعل فعل الكلام من نبي الله موسى، وفرقٌ بين الأمرين؛ طبعًا لأنّ المحرِّف لا يثبت لله الكلام فأراد أنْ يعبث بكتاب الله وحاشا.

إذًا النوع الأول من التحريف: هو التحريف في اللفظ، ﴿اسْتَوَى﴾ يحرِّفها إلى استولى، ﴿كَلَّمَ اللَّهُ﴾[النساء:١٦٤]، يحرفها إلى كلم اللهَ، **والمحصلة:** أنّ التحريف في اللفظ سيوصلنا أيضًا إلى نتيجة واحدة وهي التحريف في المعنى؛ لأنّ اللفظ إذا حرِّف لا شك أنّ المعنى سيتم تبديله وتغييره وتحريفه، النوع الأول هو تحريف اللفظ.

- **النوع الثاني:** هو تحريف المعنى، وهذا المحرِّف مثلًا يقول: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأعراف:١٥٦]، يفسر الرحمة بإرادة الإحسان، ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾[النساء:٩٣]، يفسر الغضب بإرادة الانتقام، ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[المائدة:١١٩]، يفسر الرضا بإرادة الإنعام.

لماذا عدلَ عن تفسير الرحمن بالرحمة، والغضب ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾[الفتح:٦] بالغضب؟ عدلَ عن ذلك لمعنًى فاسد قام في نفسه؛ ولأنه يُعطِل الله -كما سيأتي معنا- عن بعض صفاته، فيجعل مرد هذه الصفات إلى ما يثبته هو، **المراد:** أنّ تحريف المعنى هو تغيير وتبديل المعنى حتى لو لم يغير اللفظ، فلما جاء إلى لفظ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ﴾[الفاتحة:١]، فهو لم يغير الرحمن، لم يغير فيه لفظًا وإنّما غيَّر في معناه وقال: الرحمن هنا أي مريد الإحسان أو إرادة الإحسان، ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ﴾[الفتح:٦]، جعل الغضب هو إرادة الانتقام إلى آخره.

ما حكم التحريف لصفات الله –سبحانه وتعالى–؟ قطعًا لا يجوز، لكن نريد حكمًا، قطعًا التحريف لا يجوز والمؤلف نصَّ على ذلك فقال: (مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ)، فنعم، هو محرم، لكن نستطيع أنْ نجيب إجابةً كاملة فنقول:

التحريف نوعان:

– إنْ كان تحريفًا كاملًا لنصوص الصفات، يعني كل صفة من صفات الله يحرفها يبدلها يغيرها فهذا لا شك في كفره، وعلى رأس هؤلاء الجهمية الذين كفَّرهم الأئمة –رحمهم الله تعالى–، هؤلاء يحرفون كل نصوص الصفات، لم تسلم صفة من صفات الله تعالى من تحريفهم، فبالتالي هؤلاء كفار عند أهل العلم من سلف هذه الأمة.

– **النوع الثاني**: أنْ يكون هناك تحريف جزئي لبعض نصوص الصفات، يعني لم يحرف كل الصفات وإنَّما حرَّف بعض الصفات، فالنوع الأول كفر يعني محرم وصاحبه كافر، النوع الثاني التحريف الجزئي لبعض نصوص الصفات، هذا إذا كان التحريف في شيءٍ ظاهر لا يحتمل وجهًا للتأويل فالمحرف هنا كافر.

مثل: نفاة رؤية الله –سبحانه وتعالى–، الذين نفوا رؤية الله –سبحانه وتعالى– ليس عندهم حُجَّة ولا برهان، والشبه التي يتعلَّقون بها لا تنهض أنْ تكون شبهةً، كذلك الذين قالوا إنّ القرآن مخلوق، هؤلاء يكفِّرهم أهل العلم، التحريف الجزئي لبعض نصوص الصفات، إذا كان في معنى غير ظاهر، والمحرف عنده عذر أو تأويل أو شبهة قوية، فإنه لا يُحكم بكفره.

ولذلك لم يكفِّر الأئمة –رحمهم الله تعالى– الأشاعرة والماتريدية، الأشاعرة والماتريدية لم يكفِّرهم الأئمة؛ لأنّ تحريفهم جزئي أولًا لهذه الصفات، وأيضًا التحريف وقع في صفات لهم فيها شبه، وقد يكون لهم فيها عذر، ووجه الشبهة عندهم شديد، هنا اعتذر لهم الأئمة –رحمهم الله تعالى–.

إذًا نلخص ما يتعلَّق بالتحريف أنّ التحريف هو من الانحراف، والتحريف هو تبديل الشيء وتغييره وصرفه عن وجهه، وتحريف الصفات تغييرها وتبديلها أو تغيير معانيها وتبديلها، **والتحريف نوعان:**

– تحريفٌ في اللفظ، مثل تحريف: ﴿اسْتَوَى﴾ إلى استولى.

– وتحريفٌ في المعنى مثل تحريف الرحمن بإرادة الإحسان، والغضب بإرادة الانتقام، وحكم الذي يقع في التحريف في صفات الله تعالى أنه إنْ كان تحريفه كاملًا لكل الصفات، فلا شك في كفره كالجهمية، وإنْ كان تحريفه جزئيًا لبعض نصوص الصفات، فإما أنْ يكون في أمرٍ ظاهر في صفةٍ ظاهرة لا تحتمل وجهًا للتأويل، فهذا كافر،

مثل: نفاة الرؤية، ومثل الذين قالوا بأنّ القرآن مخلوق، وإما أنْ يكون التحريف الجزئي الواقع لبعض نصوص الصفات كان بشبهةٍ عند القائل وله عذر، فهذا لا يُحكم بكفره.

وأنا حين أقول: له عذر، لا يعني أنْ يكون عذرًا مقبولًا، لكن عنده كما نقول مثلًا في الحدود "**ادرءوا الحدود بالشبهات**"، هذه الشبهة أحيانًا ليس بالضرورة أنْ تكون شبهةً قوية، لكنها تمنع من إقامة الحد، وحين نقول: لا نحكم بكفرهم، ليس معناه أننا لا نخطئهم، بل نخطئهم ونقول: إنهم جانبوا الصواب، وجانبوا سبيل أهل السنَّة من سلف الأمة الصالحين، لكن هذا شيء، والحكم بتكفيرهم شيءٌ آخر.

قال –رحمه الله تعالى–: (**مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ**)، وعرفنا التحريف، قال: (**وَلاَ تَعْطِيلٍ**)، **والتعطيل**: هو الإخلاء ومنه قول الحق –جل ثناؤه–: ﴿**وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ**﴾[الحج:٤٥] أي: بئر محفورة، لكن ليس فيها ماء فهي معطَّلة، ***والتعطيل في اللغة***: هو الإخلاء، وتعطيل الله عن صفاته إخلاؤه –جل وعلا– عن أوصافه التي وصف بها نفسه أو صفه بها رسوله –صلى الله عليه وسلم–.

قال: ومن غير تعطيل، **التعطيل نوعان:**

– هناك مَن نفى عن الله كل الصفات، فهؤلاء تعطيلهم تعطيلٌ كلي، وهؤلاء دائمًا نمثِل لهم بالجهمية الذين عطَّلوا الله عن كل الصفات، لم يثبتوا لله صفةً هؤلاء تعطيلهم كلي وهم الجهمية.

– وهناك مَن عطَّل الله –سبحانه وتعالى– تعطيلًا جزئيًا، فأثبت بعض الصفات ونفى بعضها، وحتى هؤلاء أنواع المعتزلة مثلًا يثبتون ثلاث صفات، ويعطِلون باقي الصفات، فيثبتون لله ثلاث صفات فقط هي: القدرة والحياة وإرادة حادثةٍ لا في محل.

طبعًا مثل قولهم: إرادة حادثةٍ لا في محل، هنا يتبين لنا منهج أهل السنَّة والجماعة أنهم لا يتقعرون في الألفاظ، ولا يخرجون غالبًا عن هدي الكتاب والسنَّة، أما هذه الألفاظ التي فيها تقعر، وفيها استجلاب للمنطق والفلسفة فهي التي أوقعت هؤلاء في الخطأ الكبير والخطأ العظيم فيما يتعلَّق في باب صفات المولى –سبحانه وتعالى–.

إذًا التعطيل إما كلي مثل ما فعل الجهمية، فعطَّلوا الله عن كل صفاته، أو تعطيل جزئي وهذا أنواع، المعتزلة أثبتوا لله ثلاث صفات وعطَّلوا الباقي، الأشاعرة أثبتوا لله سبع صفاتٍ وعطَّلوا بقية الصفات، وهذه السبعة الصفات هي التي جمعها الناظم في قوله:

له الحياة والكلام والبصر   سمعٌ إرادةٌ علِم واقتدر

يعني: يثبتون لله الحياة، الكلام، البصر، السمع، الإرادة، العلم، القدرة، سبع صفات، ما عدا هذه الصفات يعطلون الله -سبحانه وتعالى- عنها، أو أنهم يحملونها على هذه الصفات السبع.

إذًا النوع الأول المعتزلة أثبتوا ثلاثًا وعطَّلوا الله عن الباقي، الأشاعرة أثبتوا سبعًا وعطَّلوا الله عن الباقي، الماتريدية أثبتوا ثمان صفات سبعة الأشاعرة يعني: الحياة والكلام والبصر والسمع والإرادة والعلم والقدرة، وزادوا صفةً ثامنة وهي التكوين.

خلاصة القول: أنّ التعطيل إخلاء، والتعطيل في باب الصفات إخلاء الله عن أوصافه التي وصف بها نفسه أو وصفه بها نبيه -صلى الله عليه وسلم-، **وهو نوعان:**

- تعطيل كلي، مثل: ما فعلت الجهمية.
- وتعطيل جزئي، مثل ما فعلت المعتزلة والأشاعرة والماتريدية.

إذا كان المعطلة قد عطَّلوا الله عن كل صفاته أو بعض صفاته، كيف يتعاملون مع هذه الصفات المبثوثة في الكتاب والسنَّة؟ كيف يتعاملون معها وهي موجودة؟ كيف يعطلونها وهي مقروءة في الكتاب؟

الجواب: يجعلون الصفات التي يعطلونها راجعة إلى بعض الصفات التي يثبتونها، فيقولون: في الرحمة مثلًا إرادة؛ لأنهم يثبتون صفة إرادة الإنعام، يقولون: في الغضب إرادة الانتقام وهكذا، ولا شك أنّ حكم التعطيل حرام، وأنّ مَن عطَّل الله -سبحانه وتعالى- عن كل صفاته كافر، وأنّ مَن عطَّل الله -تبارك وتعالى- عن بعض صفاته، ففيه التفصيل: إما أنه يكفر، وإما أنّ أهل العلم التمسوا لبعضهم كالأشاعرة والماتريدية التمسوا لهم بعض العذر، فخطؤهم لكن لم يصلوا بهم إلى مرحلة التكفير.

قال -رحمه الله تعالى-: (**مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ**).

وهنا ملحظ دقيق لما قال -رحمه الله تعالى-: (**مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ**)، فعطف بالواو بين التحريف والتعطيل، ثم أعاد (**وَمِنْ غَيْرِ**) في التكييف والتمثيل، فكأنه جعل التحريف والتعطيل حزمة، وجعل التكييف والتمثيل حزمة، التحريف والتعطيل جعلها منظومة واحدة، والتغيير والتمثيل جعلها منظومة واحدة.

والقاعدة في الباب: أنّ الممثل -سيمر معنا من هو الذي يمثل- لكن القاعدة في الباب أنّ الممثل يعبد صنمًا، والمعطِل يعبد عدمًا، والسُنّي يعبد إلهًا واحدًا صمدًا.

إذًا الممثل يعبد صنمًا؛ لأنه مثَّل لله -سبحانه وتعالى- ذاتًا وصفاتًا قائمة في ذهنه، ليست موجودة في الحقيقة، فكأنه أقام صنمًا يعبده، ليس هو الله الذي حدَّث عن نفسه أو حدَّث عنه نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ لأنه ما دام أنه شبَّه الله أو مثَّله بخلقه فهو إذًا عبد شيئًا آخر غير الله الموصوف بما ليس له مثيلٌ في الخارج.

الممثل يعبد صنمًا، والمعطِل الذي أخلى الله عن صفاته، أخلى الله تعالى عن صفاته يعبد في الحقيقة عدمًا؛ لأنه لا يثبت لله لا سمع ولا بصر ولا قدرة ولا حياة ولا وجود، هذا يليق بالعدم ولا يليق بموجود، فالممثل يعبد صنمًا، والمعطل يعبد عدمًا، مَن هو الوسط في الباب؟ الوسط هم أهل السنَّة والجماعة الذين يعبدون إلهًا يثبتون وجوده واحدًا صمدًا -سبحانه وتعالى-، لكنهم ينفون عنه المثيل والشبيه والنظير والنديد، تحت قاعدةٍ عامة سيذكرها المؤلف -رحمه الله تعالى- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

قال: (**مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ**)، انتهينا من هذه الحزمة، ثم دخل في الحزمة الأخرى وقال: (**وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ**)، فما هو التكييف؟ **التكييف**: هو جعل كيفيةً للشيء، أو ما يُسأل عنه بكيف، فمنهج أهل السنَّة أنهم يثبتون لله الصفة، ويعتقدون أنّ لهذه الصفة كيفية لكنها كيفيةٌ مجهولة عندنا، ولا يجوز لأحدٍ أنْ يكيف صفات الله -تبارك وتعالى-؛ لأنه -كما أسلفت- لم يرَ أحد هذه الكيفية، ولم يصله عنها خبرٌ صادق من مصدري الوحي الكتاب والسنَّة.

مثلًا في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥]، المعنى العام للاستواء مستقر في الأذهان العلو الاستقرار، لكن الكيفية لا يعرفها أحد، ولذلك مر معنا أثر أبي عبد الله مالك بن أنس إمام دار الهجرة، لما سأله السائل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥]، كيف استوى؟ قال: "**الاستواء معلوم والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة**"، ثم قال: "**ولا أراك إلا مبتدعًا**"، فأُمِر به وسحب من المسجد.

هل معنى هذا أنّ صفات الله -سبحانه وتعالى- لا كيفية لها؟

إذًا الجواب: أنّ لها كيفية ولكن هذه الكيفية مجهولةٌ بالنسبة لنا، وما قيل في التحريف والتعطيل يُقال في التكييف أيضًا، فإنّ مَن يثبت لله -سبحانه وتعالى- كيفية، فإنه وقع في الحرام الذي قد يقوده إلى الكفر.

وقال -رحمه الله تعالى-: (وَلاَ تَمْثِيلٍ)، فكما نفى عن الله -سبحانه وتعالى- التكييف نفى عنه التمثيل، والتمثيل هو المشابهة من كل وجه، التمثيل شيءٌ أعلى من التشبيه، التشبيه هو الاتفاق في بعض الأوجه، لكن التمثيل هو الاشتراك في كل الأوجه، والإمام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- هنا كان دقيقًا في اللفظ، فلم يقل مع أنّ هذا جاري على ألسنة بعض أهل العلم حين يقولون: من غير تكييفٍ ولا تحريفٍ ولا تشبيهٍ، لكن ابن تيمية لم يستخدم التشبيه، وإنَّما استخدم التمثيل؛ لأنّ التشبيه قد يكون في بعض الوجوه بين الخالق والمخلوق، وهذا ليس ممنوع من حيث الأصل.

الاشتراك في أصل المعنى يكون أحيانًا بين الخالق والمخلوق، للخالق حياة وللمخلوق حياة، هذا اشتراك في أصل المعنى، لكن في الحقيقة [٣٩:٢٥] لا طبعًا هناك فرقٌ كبير، للمخلوق حياةٌ تليق به وللخالق حياةٌ تليق به، للمخلوق سمعٌ يليق به وللخالق سمعٌ يليق به، وبصر إلى آخره.

فقد يكون هناك مشتركات إسمية بين الخالق والمخلوق، ومشتركات في أصل المعنى، لكن اشتراك من كل وجه هذا ممنوع بالكلية، وقلت لكم آنفًا أنّ هذا المشترك في أصل المعنى قد يكون في بعض المخلوقات، فأنْ يكون بين الخالق والمخلوق من باب أولى، فأصل المعنى القائم للحياة في الدنيا، وأصل المعنى القائم للحياة في الآخرة الأصل قد يكون مشترك، لكن الحياة الآخرة هي الحيوان، هي الحياة الدائمة كما سماها الله تعالى، وفرقٌ بين الحياتين.

فرقٌ بين عنب الدنيا وعنب الآخرة، فرقٌ بين سمع النملة وسمع الفيل، وبين بصر الحدأة أو الطائر الصقر وبين بصر مثلًا الحصان أو بقية الدواب، فإذا ثبتت هذه الفروقات بين المخلوقات، فلأنْ تثبت بين الخالق والمخلوق من باب أولى.

إذًا استخدامه -رحمه الله تعالى- للفظ التمثيل استخدامٌ دقيقٌ جدًّا منه -رحمه الله تعالى-.

قال: (مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ) أي: صفات الله لا تُمَثَّل بصفات المخلوقين، -وكما ذكرت لكم- فالممثل يعبد صنمًا، الله -سبحانه وتعالى- منفيٌّ عنه التمثيل بخلقه -جل وعلا-.

ثم قال -رحمه الله تعالى- بعد أنْ نفى عن الله -سبحانه وتعالى- التحريف والتشبيه والتمثيل والتعطيل، قال: (بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]).

يعني: ما ذكره -رحمه الله تعالى- في السطرين الماضيين يُدلل عليه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾، وهذه القاعدة في باب الاعتقاد هي التي جذراها أو طرفاها النفي والإثبات، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾: نفى عن الله -سبحانه وتعالى- المثيل، وأثبت لله -سبحانه وتعالى- السمع والبصر، فصفات الله أيضًا من القواعد أنها قائمة على النفي والإثبات.

ننفي عن الله -سبحانه وتعالى- ما لا يليق به -جل وعلا-، وما نفاه عن نفسه، ونثبت له -سبحانه وتعالى- الكمالات في الأسماء والصفات التي أثبتها لنفسه، والتي أثبتها له نبيه -صلى الله عليه وآله وسلم- من غير المحظورات التي ذكرها، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾، إرساء لقاعدة مهمة جدًّا وهي قاعدة القرآن في أنّ النفي مجمل والإثبات مفصل، معنى القاعدة أنّ النفي في صفات الله تعالى مجمل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، هذا نفيٌ مجمل، أما في الإثبات ففصَّل وقال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾، ﴿السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ تفصيل غير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، لكن هذه القاعدة أيضًا غير مطردة.

الأصل: أنّ النفي مجمل والإثبات مفصل، لكن أحيانًا قد يرد النفي المفصل، ما الدليل في أنّ النفي أحيانًا يأتي مفصلًا على غير عادة القرآن في أنّ النفي مجمل والإثبات مفصل؟ مثل: نفي الصاحبة والولد، ألم يكن يكفي في نفي الولد نفي الصاحبة؛ لأنه إذا انتفت الصاحبة انتفى الولد، لكنه جاء بنفي الصاحبة والولد وهذا القليل، وإلا الأصل في القاعدة المطردة أنّ النفي مجمل، والإثبات مفصل.

قال: (بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، فَلاَ يَنفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ).

لا ينفون عنه ما وصف به نفسه، بل يثبتونه له -سبحانه وتعالى- على الوجه اللائق به.

(وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَّوَاضِعِهِ).

فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ما وصف به نفسه يثبتونه كما أثبته هو لنفسه، وهذا الذي أثبته لنفسه أيضًا لا يحرِّفون الكلم فيه عن مواضعه، وقد تطرق هو -رحمه الله تعالى- للتحريف، وذكره بما لا ينبغي إعادته هنا.

ثم قال: (**بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]، فَلاَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَّوَاضِعِهِ، وَلاَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وآيَاتِهِ، وَلاَ يُكَيِّفُونَ وَلاَ يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ؛ لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ: لاَ سَمِيَّ لَهُ، وَلاَ كُفْءَ لَهُ، وَلاَ نِدَّ لهُ، ولاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ، فَإِنَّهُ سبحانه أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا**).

طبعًا في بعض الكلام تكرار فلن نتطرق مثلًا لذِكر التحريف والتبديل، هذا كله مر معنا، لكن يكفي أنْ نعرف أنّ في قوله: (**وَلاَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وآيَاتِهِ**)، أنّ الإلحاد معناه الميل والعدول عن الحقيقة، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾[الأعراف:١٨٠]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾[فصلت:٤٠].

ومن هنا قال أهل العلم: **الإلحاد في أسماء الله أنواع**:

- منها: أنْ ينكر شيئًا مما تضمنته هذه الأسماء، يعني أنْ ينكر الأسماء كلها أو شيئًا مما تضمنته مثل ما فعلت الجهمية.

- **ومن الإلحاد في الأسماء**: أنْ يُسمى الله تعالى بما لم يُسمِ به نفسه، مثل: ما سمته النصارى أبًا، وسماه الفلاسفة علة، هذه أسماء ما سمى الله بها نفسه، فهذا إلحاد في أسماء الله.

- **ومن أنواع الإلحاد في أسمائه**: أنْ يعتقد دلالتها على مماثلة الله لخلقه، يعني باختصار أنْ يعتقد أنّ لله مثيل أو شبيه كما فعلت المشبهة.

- **ومن الإلحاد في أسمائه**: أنْ يشتق منها أسماء لمعبودات أخرى، مشركو العرب سموا اللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان، وهذا أيضًا من الإلحاد في أسمائه.

إذًا الإلحاد في أسمائه أنْ ينكر شيئًا منها أو شيئًا مما تضمنته كالجهمية، أو يسمي الله بما لم يسمِ به نفسه كالنصارى سموه أبًا، أو يعتقد دلالتها على مماثلة الله لخلقه مثل المشبهة والممثلة، أيضًا من الإلحاد أنْ يشتق منها أسماء لإلهةٍ أخرى كاللات والعزى ومناة، هذا إلحادٌ في أسمائه.

والمؤلف قال: (وَلاَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وآيَاتِهِ)، طبعًا هنا يخصنا الأسماء والصفات، لكن بما أنه ذكر (وآيَاتِهِ)، فالإلحاد في الآيات كذلك تغييرها وتحريفها وتبديلها عن معانيها، مثل: إلحاد الرافضة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾[البقرة:٦٧]، قالوا: أي عائشة، وقالوا: الجبت والطاغوت أبو بكر وعمر، ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾[الرحمن:١٩]، علي وفاطمة، ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾[الرحمن:٢٢]، قالوا: الحسن والحسين.

كل هذا إلحادٌ في آيات الله، **<u>وهذا الإلحاد في آيات الله أيضًا يمكن أنْ ينقسم إلى قسمين:</u>**

- إلحاد في الآيات الشرعية.

- وإلحاد في الآيات الكونية.

الآيات الشرعية بتكذيبها أو تحريفها كما سمعتم، والآيات الكونية بنسبتها إلى غير الله تعالى، طبعًا لما نتكلم عن الآيات الكونية يعني المخلوقات الدالة؛ سميت آيات لأنها علامات على خالقها -جل وعلا-، فمَن نسب هذا الخلق إلى غيره -سبحانه وتعالى- فقد ألحد، كما قال الملاحدة إنه ليس للكون خالق، وإنّ الكون وجد صدفة، هذا إلحادٌ في آياته.

أهل السنَّة لا يلحدون في الأسماء ولا في الصفات، ولا يلحدون أيضًا في الآيات، ولا يكيفون ولا يمثلون صفات الله بصفات خلقه -سبحانه وتعالى- مر معنا التكييف والتمثيل، لماذا لا يفعلون كل ذلك؟ قال وهنا بيان العلة قال: (لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ: لاَ سَمِيَّ لَهُ، وَلاَ كُفْءَ لَهُ، وَلاَ نِدَّ لهُ، ولاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ).

فالله منفيٌّ عنه الكفء والند والسمي، وهذا بمنطوق القرآن قال الله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[مريم:٦٥]، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾[البقرة:١٦٥]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص:٤]، فنفى عنه الند النديد، ونفى عنه الكفء، ونفى عنه المماثل -سبحانه وتعالى-.

ثم قال -رحمه الله-: (ولاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ)، وهنا قطعت جهيزة قول كل خطيب، فهو يقطع على الفلاسفة والمخالفين الأدوات التي استخدموها في باب الأسماء والصفات وهي القياس العقلي، فالقياس العقلي ممنوع، القياس فيما يتعلَّق بالله -سبحانه وتعالى- ممنوع، القياس قياس المناطقة الذي هو مقدمة صغرى، ثم مقدمة كبرى، ثم نتيجة، هذا ممنوع فيما يتعلق بالله، والقياس الأصولي ممنوع أيضًا، وهو الذي يستخدمه الفقهاء في باب أصول الفقه، قياس واحد فقط هو الذي يمكن أنْ يُتعامل فيه مع الله وهو قياس الأولى.

كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾[النحل:٦٠]، لما نقول: قياس الأولى هذا يوازي قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾[النحل:٦٠]، الأولى الأعلى، ما هو قياس الأولى؟ قياس الأولى -قال أهل العلم- كل كمالٍ ثبت للمخلوق لا نقص فيه بوجهٍ من الوجوه، فالله تعالى أولى به، هذه عبارة دقيقة في كل لفظة منها.

وللك ينبغي أخذها بحذر، كل كمالٍ ثبت للمخلوق لا نقص فيه بوجه من الوجوه هذا القيد مهم؛ لأنّ هناك كمال في حق المخلوق لكن له نقص الخالق، المخلوق الذي لا ينام مريض، لكن الخالق لما نصفه بأنه ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾[البقرة:٢٥٥]، فهذا لقوة كماله لتمام حياته وقيوميته -جل وعلا-.

أما الإنسان إذا ما نام أربعة وعشرين ساعة، ثمانية وأربعين ساعة، اثنين وسبعين ساعة يُذهب به إلى الطبيب، هذا مريض، فالنوم الذي هو في أصله نقص كمال في حق المخلوق، الإنسان الذي لا يُنجب له إنسان فيه نقص، ولذلك الولد كمال في حق المخلوق، لكنه نقص في حق الخالق لاستغنائه -جل وعلا-.

إذًا كل كمالٍ ثبت للمخلوق لا نقص فيه بوجهٍ من الوجوه، فالله تعالى أولى به، مثل العلم والقدرة، فالله أولى بتمام العلم وكماله، والله أولى بكمال القدرة وتمامها.

قال -رحمه الله تعالى-: (**وَلاَ يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ؛ لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ: لاَ سَمِيَّ لَهُ، وَلاَ كُفْءَ لَهُ، وَلاَ نِدَّ لَهُ، ولاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ، فَإِنَّهُ أَعْلَمَ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا من خلقه**).

كل هذه الجملة أو السطرين الأخيرة تعليل لما ذكره سابقًا من أننا نؤمن بالصفات بدون تحريف ولا تعطيل، ونعتقد أنّ الله ليس كمثله شيء، وأنه لا ند ولا شبيه ولا مثيل، ولا سمي له -سبحانه وتعالى-؛ لأنّ الله -سبحانه وتعالى- لا كفء له، ولا يُقاس بخلقه هذا هو التعليل الذي ذكره، ونقف إلى هذا الحد، ونكمل إنْ شاء الله في المجالس القادمة.

اللهم يا معلم إبراهيم علمنا، ويا مفهم سليمان فهمنا، نسألك علمًا نافعًا ورزقًا واسعًا وقلبًا خاشعًا ونية خالصة، اللهم إنَّا نعوذ بك أنْ نشرك بك شيئًا ونحن نعلم، ونستغفرك من الذنب الذي لا نعلم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمدٍ وعلى الآل والصحب والتابعين.

تم إلقاؤه يوم السبت ١٩ ربيع الأول ١٤٤١ هـ الموافق ٢٠١٩\١١\١٦